الحيوان في الأمثال العربية القديمة

عفيف عبدالرحمن*

* حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٧١ .
أستاذ مشارك بدائرة اللغة العربية ونائب عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة اليرموك ــ الاردن .

الملخص

ترجع صلتي بالبحث إلى ١٩٧٥ حينما نشرت « الوسيط في الأمثال » للواحدي ، وظلت الفكرة تراودني في جمع الأمثال العربية القديمة مرتبة مبوبة مشروحة وموثقة من مظانها ، حتى برزت إلى حيز الوجود في معجم ضم ما يقرب من سبعة الآف مثل . وقد وعدت في مقدمة المعجم أن أقدم للقاريء العربي دراسات حول ظواهر مهمة في الأمثال . ومن هذه الظواهر : صورة الحيوان في الأمثال ، وصيغة أفعل في الأمثال ودلالتها ، والأمثال الشعرية ، ودراسات لغوية في الأمثال . وقد أعددت هذه الدراسات لتظهر موازية ومكملة للمعجم .

لم يكن حيوان الصحراء داجنه ووحشيه بعيداً عن واقع حياة العربي ولا عن فكره وخياله . ولعل تصفحا سريعا لكتاب « الحيوان » للجاحظ و «حياة الحيوان » للدميري و « كليلة ودمنه » لابن المقفع ، يقنع القاريء بأن الحيوان رفيق درب وخيال للجاهلي . ومما حفزني أكثر ، ندرة المصادر التي تصور حياة ذلك العصر وثقافة العربي في تلك الفترة .

ومن هنا فإن البحث يهدف إلى تحقيق أمور منها : الكشف عن قيم العربي ومثله لمعرفة تركيبة ذلك المجتمع الثقافية والفكرية . ومنها رصد الحيوان في تلك الفترة وذلك المكان ، فهو من المؤشرات الإقتصادية . ومنها رصد طباع ذلك الحيوان وأخلاقه ، ومدى تأثر الإنسان بها . ومنها أن رصد الحيوان يقودنا إلى معرفة بيئات الجزيرة النباتية . وآخرها أنني أملت أن تكشف لي أمثال الحيوان وقصصه الأساطير المتصلة به للتوصل إلى طبيعة العقلية الجاهلية وعقيدتهم .

أما وسيلة الباحث فهي ذات اتجاهين : الأول يستقريء المصادر التي كتبت عن الجزيرة العربية للتعرف إلى حيوان الجزيرة ونباتها وطبيعة الأرض التي يسكنها ذلك الحيوان ، كما يستقريء دواوين الشعر وشروحه القديمة ففيها معين لا ينضب .

وأما الثاني فهو يتمثل في مسح للأمثال العربية القديمة في مظانها والمعجم الذي قمت بجمعه وترتيبه .

وقد اعتمد البحث على الإحصائيات والأرقام ، ولكنها إحصائيات مقترنة بالتحليل الذي لا أزعم فيه الكمال والاستقصاء لأن ذلك يضخم البحث ، ولكنه تحليل واع لما هو متضمن في أوجز عبارة وأدلها ، وقد تم مسح مصادر الأمثال جميعها وأثبتت إحصائيات بذلك . وقد لاحظ الباحث أن الحيوان المدجّن الآليف ضرب رقما قياسيا في الأمثال لبعضه لكنه في المجموع تخلف عن غير الأليف (البري) ، كما لاحظ من خلال حصر طباع الحيوان وخصاله التي يضرب بها المثل أن الحيوانات غير الأليفة كانت ذات حظ أوفر . وفي الحالين فإن الحيوانات الأكثر التصاقا بالإنسان هي التي برزت ، سواء أكانت برية أم داجنة ، كما أن العربي ضرب المثل بالحيوانات ذات الطباع المتميزة .

ويعرض البحث لصور ورود الحيوان في الأمثال ومنها : صيغة أفعل من ويكون الحيوان أو أحد طباعه طرفا في المفاضلة أو المقابلة ، ومنها أن يكون الحيوان إحدى صورتي الجملة الخبرية .

ويحاول البحث حصر الطبائع والصفات التي وردت في الأمثال للحيوانات ، ويختار بعض الحيوانات التي وردت فيها أمثال كثيرة كالذئب ، والجمل والضب ، وإتماما للفائدة يضع جدولًا للحيوانات جميعا والصفات التي ذكرت لها في الأمثال ، ويلاحظ الباحث أن الحيوانات الضعيفة أو الخاملة أو الغبية لم يكن لها نصيب وافر في الأمثال فندر ذكرها .

لقد كان تحقيق كتاب « الوسيط في الأمثال » الذي نشر عام ١٩٧٥ البداية الحقيقية لاتصالي بالمثل العربي القديم ، رديف الشعر وصنوه في تجلية الحياة العربية في الجاهلية على قلة مصادرها وندرتها . فقد جعلني أطوف رحلة طويلة وممتعة بصحبة كتب الأمثال . وكانت ثمة تلك الرحلة ذلك المعجم الذي جمعت فيه الأمثال العربية القديمة ووثقتها وقمت بتخريجها وشرحها وترتيبها ترتيبا حديثا يسهل على الباحث والدارس والمستمع الرجوع إليها . وكان بحثي الموسوم بـ : « الأمثال العربية القديمة » الذي نشرته المجلة العربية للعلوم الإنسانية بالكويت فاتحة مجموعة من الأبحاث وعدت بها في مقدمة المعجم تدور جميعا حول الأمثال ، وتحاول رصد وتحليل ظواهر مختلفة في أمثالنا . وقد خلا ذلك البحث من الإحصائيات التي تعطي المؤشرات الدقيقة المدعمة بالأرقام ، وقد ورد فيه « وإن الباحث المستقريء للأمثال بدقة ليستطيع أن يرى أن الحيوان كان

محور أمثالهم في مجالات الحياة المختلفة ، فقد لاحظوا صفات هذا الحيوان وطباعه وشكله ، وتعاونه وأنانيته وكل شيء فيه ، وتمثلوا بها . ولعل إيراد هذه الطائفة من الأمثال تغري بعض الباحثين بمسح شامل للحيوان في الأمثال » (عبد الرحمن ، ١٩٨٣ : ٤٢) : وجاء في موضع آخر من ذلك البحث « وإن هذه الأمثلة تعطينا فكرة عن تلك الصلة الوثيقة بين عالم الحيوان وواقعه وصلته بالإنسان وتجاربه وقيمه التي آمن بها . وان الأمر ليزداد وضوحا يحتاج إلى دراسة مفصَّلة تستند إلى استقراء الأمثال جميعا واستقراء قصصها لتبين عالم الحيوان في الأمثال ومجالات التمثل به ، وندرة ورود هذه الصنعة أو شيوعها ، وكثرة ورود ذكر هذا الحيوان أو قلة الآخر . ولا يقتصر ذكر الحيوان في الأمثال على ارتباطه بالتمثل به ، أو بصفة من صفاته ، أو طبع من طباعه ، بل هناك مجالات أخرى : منها أنه نسب إلى أماكن معينة ومراعي في الجزيرة ، فكان معروفا بها ، وكانت معروفة به ، ودل عليها ، فقيل : أرنب الخلة ، وقنفذ برقة ، وضب السحا (عبد الرحمن ، ١٩٨٣ : ٤٥) .

تلك كانت البدايات ، ولكن الحوافز القوية لهذه المحاولة تمثلت في ما قرأته في كتاب « الحيوان » للبخلاء ذلك السفر القيم الذي أفرده للحيوان ، ومزج فيه بين القصص والحقائق العلمية المتعلقة بالحيوان والشعر المتصل بتلك الحيوانات والأمثال التي ضربت بها ، وما كان عليه نتاج ذلك كله من كشف لطباع الحيوان وأسرار خلقه وبقائه . ومن تلك الحوافز ، ما أحيط به كتاب كليلة ودمنة من تقدير ومباهاة ، وزعم قوم بأن الهند والفرس أول من ضرب بالبهائم

الأمثال وأنطقها حكما خالدة اعتبر بها بنو الإنسان ، ومن أقوى الحوافز وأقربها إلى نفسي أنني ما زلت أبحث عن مصادر تثري ذلك العصر الذي كرست له جل وقتي ، وهو العصر الجاهلي ، ذلك العصر الذي يمثل فجر حياة أمة انتمي إليها ، حملت رسالة خالدة إلى العالم أجمع . وكنت أؤمل أن تكشف لي دراسة الحيوان في الأمثال ضوءا على الحياة العامة في تلك الفترة ، وأن تكشف لي تلك الرموز وقصص الحيوان وأساطيرها شيئا من الحياة الدينية لذلك العصر .

ويهدف البحث إذا ، في ضوء الحوافز السابقة إلى أمور أرجو أن تتحق ، أهمها الكشف عن القيم التي كان العربي يؤمن بها ويحارب في سبيلها ، قد يكون بعضها سلبياً في عرفنا اليوم ، وقد يكون إيجابياً ، المهم أنها قيم العربي في ذلك العصر . وإذا ما تم لنا كشف تلك القيم ومعرفة مدى شيوعها نعرف الكثير عن تركيبة ذلك المجتمع .

ومنها أنني أؤمل أن ألقي الضوء على حيوان الجزيرة العربية في تلك الفترة ، وأماكن وجوده فيها ، وفائدته أو ضرره للإنسان ، فهو من المؤشرات الإقتصادية للعربي في جاهليته .

ومنها التعرف إلى أخلاق تلك الحيوانات وطباعها ، ومنها تأثر الإنسان بها ، وهناك مقولة شائعة تعزو تسمّى الإنسان بأسماء بعض الحيوانات إلى إعجاب الإنسان بخصال ذلك الحيوان .

وبعض أصناف الحيوان كما يقول أرسطو « وديع قليل الغضب ليس بجاهل مثل البقرة ، وبعضها غضوب جاهل لا يقبل شيئا من الأدب مثل الخنزير البري ، وبعض الحيوان جزوع مثل الأيّل والأرنب البري ، وبعضها عادم الحرية مغتال مثل الحية ، وبعضها جرىء جلد كريم شريف مثل الأسد ، وبعضها مغتال قوي شديد وحشي مثل الذئب ، وأيضا بعض الحيوان منكر رديء الفعل مثل الثعلب ، وبعضها متحبب ملاق مثل الكلب ..... فأما الحيوان الذي له رأي ومشورة فهو الإنسان فقط ، وكثير من الحيوان يحفظ ذكر عابري ، ويتعلم ، فأما إطالة الفكرة فليست تكون إلا في الإنسان » (أرسطو ، ١٩٧٧ : ١٦ ــ ١٧) .

ومنها أيضا التعرف إلى البيئة الحيوانية في الجزيرة العربية ويقودنا ذلك إلى معرفة بيئات الجزيرة النباتية لأن هذه الحيوانات مختلفة الطعام والمسكن وما يحتاج إليه هذا الحيوان من مواصفات بيئية يختلف عما يحتاج إليه آخر .

ومنها أنني آمل أن تكشف لي قصص الحيوان والأساطير المتعلقة ببعضه عن طبيعة العقلية العربية الجاهلية .

فهل أستطيع بهذا البحث أن أحقق ذلك كله ؟ ذلك ما أرجوه .

وجزيرة العرب التي تمثل بيئة الحيوان الذي نعرض له لم يشرك العرب في سكانهم غير العرب ، ويحيط بها بحر فارس من عبادان ، وهو مصب ماء دجلة في البحر ، فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان ، ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن ، حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة ، ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهي إلى أيلة (الاصطخري ، ١٩٦١ : ٢٠) . وهذه الرقعة المترامية الأطراف يتنوع فيها المناخ ، ويتبع ذلك تنوع في الأمطار ، وأخيراً يتبع ذلك اختلاف صلاحيتها للزراعة من بقعة إلى أخرى ، وعندما نقول الزراعة فلا نعني ما تعنيه الكلمة الآن حرفيا ، بل نعني قابلية الأرض لإنبات النبات ، لأن وجود النبات أو الكلأ على اختلاف أنواعه من عشب وشجيرات وأشجار ، يتبعه أناس يعيشون مع حيواناتهم التي تدر لهم

اللبن ، ويذبحون بعضها فيأكلون لحومها ، ويتبعه أيضا حيوانات ليست أليفة وطيور وزواحف تعيش في هذه البيئة ولا تعيش في بيئة أخرى . فلكل طباعه واحتياجاته من الطعام والماء والمأوى .

وإنما سقت هذه المقدمه لأن تنوع الأمثال واختلاف كميتها المتصلة بهذا الحيوان أو ذاك تعتمد على بيئة هذه البقعة أو تلك ، كما تعتمد على مناخها وأمطارها ونباتاتها . ولأضرب مثلا بالأسد ، فهو يحتاج إلى مجتمع شجر كثيف ليحيا وسطه ، ولذلك ذكر الهمداني في « صفة جزيرة العرب » عن مواضع الأسد في الجزيرة العربية وربطها ببعض الأمثال : أسد خفان ، وأسد الشرى من بلاد لخم ، وأسد عثر ، وأسد حاملة ، وأسد الملاحيظ ، وأسد المقيضا ، وأسد اللطا ، وأسد تعثر ، وأسد لية ، وأسد حلية ، وأسد السحول ، وأسد تبالة ، وأسد ترج ، وأسد بيشة ، وأسد عتود . ويضيف الهمداني بأن أماكن أخرى يكون بها أسود ويذكر أعراض نجد (الهمداني ، ١٩٧٤ : ٢٦٩) .

وعندما يتحدث الهمداني عن مواضع الوحش المضروب بها المثل يذكر : وجرة ، وحربة ، وأسنمة ، وذا قار ، وتوضح ، ورماح وشرب ، والدبيل ، ووهبين ، وزرود ، وانبطة ، وطلاح . ويقال : شاة الرخامي ، وشاة الأران ، وتيس الرمل ، وذئب الخمر ، وذئب الغضاء ، وذئب الغملول ، وشاة للوعول (الهمداني ، ١٩٧٤ : ٢٦٨) .

ولم تكن الثروة الحيوانية في الجزيرة ضخمة بحيث تتناسب مع ضخامة الجزيرة ، وذلك بسبب مناخها وغلبة الأرض الصحراوية على غيرها ، وكثير من الحيوان لا يحتمل تلك البيئة ، ولذلك كان الجمل وبعض الحيوانات الأليفة هي القادرة على الاحتمال في تلك الجزيرة ، فالشح في المياه ، وجفاف العشب معظم أيام السنة ، والرياح العاتية ، والرمال الصحراوية التي لا تنتهي ، كل هذه عوامل قسوة لا يحتملها كثير من الحيوانات . ويعد الجمل من أقدم حيوانات الجزيرة ، فقد ورد ذكره في النصوص الآشورية ، عند ذكر معركة (قرقر) وغيرها من المعارك بين العرب والآشورين (على ، ١٩٦٨ : ١٩٧/١) .

وعرفت الجزيرة وأهلها الخيل أيضا في الجاهلية ، ويروى أنها لم تكن من حيوانات الجزيرة الأصلية ، بل أدخلت إليها وهجنت ، وقيل بأن العرب ظلوا إلى ما بعد الميل ، أو ظهور الإسلام ، وهم لا يملكون إلا عددا قليلا منها (على ، ١٩٦٨ : ١٩٩/١) ، ونستدل على هذا من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين .

أما البغال فلم تكن كثيرة الاستعمال في الجزيرة حتى ظهور الإسلام ، وكذلك الحمير ، ولكنها كانت تستعمل عند أهل الحضر في الجزيرة ، ومثلها البقر فقد كانت ملازمة لأهل الحضر في الغالب .

وأما الأغنام ، وهي ذات فائدة للإنسان لتزويدهم باللحوم والصوف واللبن ، فكانت ترى في جميع أنحاء الجزيرة ، وكذلك الماعز الذي تناسبه الأراضي المرتفعة كالتلال والجبال .

وإذا انتقلنا إلى الحيوانات الوحشية أو غير الأليفة فهي كثيرة في الجزيرة العربية ومنها : النمر ، والثعلب ، والفهد ، والقط الوحشي ، والضبع ، والبقر الوحشي ، والحمار الوحشي ، والنعامة ، والغزال ، والضب ، والورل ، والقنفذ ، واليربوع ، وكان العرب يأكلون بعض هذه الحيوانات .

وعرفت الجزيرة من الطيور : العقاب ، والبازي ، والنسر ، والصقر ، والبوم ، والغراب ، والهدهد ، والحمام ، والعصافير ، والعندليب .

ومن الحشرات والزواحف عرفت الجزيرة : الجراد وكانوا يأكلونه ، والعقارب والحيات .

وعرف العربي السمك الذي كان يقتات به ، وبخاصة سكان السواحل .

وقد أسهبت في ذكر أنواع الحيوان ، ولم آت على ذكرها جميعا ، كما لم يأت مصدر على ذكرها جميعا إلا كتاب « الحيوان » للجاحظ ، وإنما كان كل مصدر يذكر ما يعنيه ذكره . ولكن القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب السيرة أتت على ذكر معظم الحيوانات .

وقد سقت ذلك لأبرّر ندرة الأمثال المضروبة بحيوان ما وكثرتها في حيوان آخر ، وذلك تبعا لندرته أو لوجوده في بيئات الجزيرة كلها ، وأيضا تبعا لأهميته أو لخطورته بالنسبة للإنسان العربي في الجزيرة . ولعل هذا ما يبرز زخم الأمثال التي ذكر فيها الجمل الذي لم يكن يستغني عنه العربي في حله وترحاله .

ولقد أثبت لنا الأدب الجاهلي في صوره وأجناسه ، من شعر ونثر ، أن العرب كغيرهم من الأقوام تعلقوا بحب هذه الحيوانات ، وزادهم التصاقا بها أو نفورا منها ، أن ظروف جزيرتهم لم تكن قادرة على أن يعيشوا بعيدين عنها ، وعزز ذلك ندرة النبات مما جعلهم لا يعولون كثيرا على ما تنتجه الأرض ، فكان الحيوان عماد حياتهم .

ولهذه الأسباب مجتمعة زخر الأدب الجاهلي بصور الحيوان على اختلاف أنواعه ، ولا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة في الشعر الجاهلي من ذكر الحيوان أو التشبه به في صفة من الصفات ، فالناقة عنصر مشترك في معظم القصائد الجاهلية ، والبقر الوحش أخذ منه جمال عيونه ، إلى غير ذلك من الحيوانات ، حتى طائر المكاء ، وهو طائر صغير لا يقوي على حفظ توازنه في الجو شبهوا قلب الجبان باضطرابه في الجو ، يقول الشنفرى في لاميته المشهورة :

ولا خرق هيـــــــق كأن فؤاده يظل بـه المكـاء يعلـو ويسفـــل

وما دمنا نتحدث عن لامية الشنفرى فإن الشنفرى ذلك الشاعر الصعلوك المتمرد على قبيلته ،

الرافض لقيم المجتمع الجاهلي ، لم يجد خيرا من المجتمع الحيواني يستبدل به ذلك المجتمع الإنساني الظالم ، فهو يصرخ قائلا :

ولي دونكم أهلون سيد عمـــلس وأرقط زهلــول وعرفــاء جيــال
هم الأهل لا مستودع السر ذائــع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

فأهله الذئب والضبع والنمر . وفي اللامية نفسها يذكر كثيرا من الحيوانات منها : الذئاب ، والقطا ، وابنة الرمل (الأفعى) ، والإبل ، والأراوى .

وهذه الحيوانات بينها وبين إنسان الصحراء شعور متبادل ، فأمرؤ القيس (الديوان : ٢١٣) يتصور إبله قائمة لم تذق طعم الطعام ، لمشاركتها إياه :

على قلص تظــــل مقلـــــدات أزمتهن ما يعذفـــــــــن عودا

وامرؤ القيس يدرك ضعف الإنسان وجبروته معا ، ولا يجد شيئا يشبه به ضعف الناس وجبروتهم إلا الحيوان ، فهم ضعاف كالعصافير والنحل والدود ، وهم متغطرسون جبارون كالذئاب الكاسرة (الديوان : ١١٦) :

أرانـــا موضعين لأمـــــر غيب ونسحــر بالطعــام وبـــالشراب
عصافير وذبـــــــــان ودود وأجــرأ من مجلحـــة الذئـــاب

ولو شئنا أن نسترسل في ضرب الأمثلة لاحتجنا إلى مجلد مما أنشده الشعراء في حيوان الصحراء وبخاصة الإبل والخيل والذئب والحمر الوحشية والظليم وغيرها .

ولقد بلغ من إهتمام العرب بحيوانهم أنهم ألفوا في بعضها أكثر من سفر ، ففي الأبل فعلوا ذلك ، وفي الخيل وأنسابها وفرسانها ألفوا أكثر من سفر ، ولم يتركوا جزءاً من جسم كل حيوان أو صوته أو طباعه إلا وصفوه .

وثمة ناحية ملفتة للانتباه في أدب تلك الفترة متصلة بالحيوان ، تلك الناحية الأسطورية والميثولوجية ، مما حدا ببعض الباحثين المحدثين إلى القول بأن بعض هذه الحيوانات كانت تعبد ، أو تقدم قرابين للآلهة ، ومن بين أدلتهم أن الأمم المعاصرة لهم في بلاد ما بين النهرين وغيرها قد عبدت بعض أنواع الحيوان أو قدسته . وهذا باب يحتاج إلى دراسة مستقلة ليس مجالها هذا البحث .

ولقد سقنا هذه الأمثلة القليلة لنمهد للقول بأن ذكر الحيوان في أمثال العرب ليس غريبا فالحيوان في أدبهم كله ، والأمثال لون من ألوان هذا الأدب ، وسنرى في صفحات هذا البحث القادمة كيف ضربوا بالحيوان الأمثال وكيف وظفوه في أمثالهم لينفذ ما يريدون .

ولم تخل أقدم المصنفات في الأمثال من ذكر الحيوان ، فالمفضل الضبي (ت ١٧١ هـ) أورد

طائفة من أمثال الحيوان في مصنفه المشهور (بيروت ، ١٩٨٠) هي :

آخر البز على القلوص	ص ١٣٤	أمنع من عقاب الجو	ص ١٤٦
استنوق الجمل	ص ١٧٤	إنك لتشول شولان البروق	ص ١٦٦
أتبع الفرس لجامها	ص ٥٠	حتى يجتمع معزى الفرز	ص ٧٥
أشأم من ناقة البسوس	ص ١٣٠	ذكرني فوك حماري أهلي	ص ١١٨
أشأم من داحس	ص ١٠٩	ربّ فروقة تدعى ليثا	ص ١٣٨
سمّن كلبك يأكلك	ص ١٦٠	على أهلها تجني براقش	ص ١٥١
علقت معالقها وصر الجندب	ص ١٦٨	قد لا يفاد بي الجمل	ص ٧٥
قد يضرب العير والمكواة في النار	ص ١٦٥	كفى برغائها مناديا	ص ١٧٠
لست من هذا ولا جملي ولا رحليص	١٣١	لا أفعل ذلك معزى الفزر	ص ٧٥
لاناقة لي في هذا ولا جمل	ص ١٣١	نعم كلب من بؤس أهله	ص ١٧٣

ويلاحظ أن هذه الامثال لم تأت على كثير من الحيوان ، وأن الحيوان المدجن كالجمل والفرس والمعزى والحمار قد غلب عليها ، ولكنها تضمنت حيوانات أخرى . وفيها من الحقائق ما يجعلنا نخالف الدكتور عبد المجيد عابدين الذي يرى أن الضبي أشار إلى الإبل والخيل والكلاب والمعزى التي لم تكن ظواهر مميزة للبوادي دون غيرها ، فالضبي لم يشر إلى الضب ذلك الحيوان الصحراوي الذي كان يميز الطبقات الدنيا من الأعراب . ويربط ذلك بأن الشاعر الجاهلي كان قليل الإشارة إلى الضب إذا ما قورن بالثور الوحش والنعام وحمار الوحش (عابدين ، ١٩٥٦ : ٥٦) .

ولسنا هنا بصدد الدفاع عن الضبي ولكننا نزعم أن الضبي لم يكن يجمع الأمثال العربية كلها بقدر ما كان يختار منها كما فعل في مفضلياته ، وربما كان الهدف التعليمي هو الذي حدا به إلى أن يسلك ذلك المسلك .

وجاء السدوسي ، أبو فيد (ت ١٩٨ هـ) بعد الضبي ، فخص بأمثال وقصص حول الضبع ، وتشكل قصص أمثاله وأمثاله التي أوردها حول حمق الضبع مجموعة فريدة ينفرد بها دون غيره من رواة الأمثال وجامعيها (السدوسي ، ١٩٧٠ : ٤٢ ــ ٤٨) ومن هذه الأمثال :

خامري حضاجر	ص ٤٢	خامري أم عامر	ص ٤٢
قد كنت قبلك قرة	ص ٤٣	ان الضبع تأكل العظام	
عيثي جعار	ص ٤٨	ولا تدري ما قدر استها	ص ٤٦

ولم يقتصر كتاب السدوسي على ذكر الضبع من الحيوان ، بل إننا نجد أمثالا أخرى نحو :

آبل من حنيف الحناتم	ص ٤٣	أرمت الإبل على المائة	ص ٥٧

أروغ من ثعلب	ص ٤٩	أروى من النقاقة	ص ٦٨
أطيش من ذباب	ص ٦٧	أطيش من فراشة	ص ٦٧
أنا اذن كراعي المعزى	ص ٤١	بدت جنادعه	ص ٦٦
ترك ظبي ظله	ص ٤١	عير عارة وتده	ص ١١٤
لا أدري أي الجراد عاره	ص ٧٧	لا أفعله حتى تجن الظباء	ص٨٦
لا أفعله ماحن بعير	ص ٨٦		

ويبدو من هذه الأمثال أن السدوسي غلبت على أمثال الحيوان في كتابه أمثال الحيوان غير المدجن وذلك عكس ما كان عند الضبي .

أما المصنف الثالث فهو كتاب الأمثال لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) فهو مصنف قام تبويبه على أساس الموضوعات والمعاني الإنسانية ، وهو أمر لم يسبقه إليه أحد ، ولم يتبعه أحد ، فقد قام من بعده بترتيب الأمثال تبعا للحروف الهجائية الأول في الكلمة الأولى في المثل . ويحتل الحيوان في مصنف أبي عبيد مكانة لا بأس بها ، وسنكتفي بذكر الحيوانات الواردة فيه وعدد الأمثال :

الإبل	٤٣	الدجاج	٢	الغزال	١
الاروى	٢	الذئب	١٠	الفرأ	١
الأسد	٣	الرخم	١	الفراشة	١
الأنوق	١	الذبابة	١	الفهد	١
البغاث	١	السرفة	١	القردة	١
بقر الوحشي	١	الضأن	٤	القراد	١
البقر	١	الضب	٩	القطا	٣
التنوط	١	الضبع	٤	الكبش	١
الثعلب	٢	الضفدع	١	الكلب	٩
الحرباء	٢	الظبي	٣	المعز	٥
الحمار	٢	العقاب	١	المهر	١
الحمام	١	العقرب	١	النعام	١
الحيّة	٣	العقعق	١	النمر	١
الخنزير	١	الفنقاء	١	الهدهد	١
الخنفساء	٢	الحمار الوحشي (العير)	١٣	اليربوع	١
الخيل	٦	الغراب	٣		

ونحس للوهلة الأولى بأن أبا عبيد لم يقتصر في ذكر الحيوان على صنف معين ، وإن كانت

بعض الحيوانات أوفر حظا بسبب كونها أكثر التصاقا بحياة الإنسان كالإبل والخيل والضب والحمار الوحشي والمعز والكلب .

أما المصنف الرابع فهو كتاب الأمثال لابي عكرمة الضبي (ت ٢٥٠ هـ) ، وهو مصنف صغير نسبيا إذا قسناه بكتاب أبي عبيد ، فقد أورد الأمثال التالية :

أظلم من حية	ص ٦٩	كأن على رؤوسهم الطير	ص ٩٢
أذل من نقدة	ص ١١٠	أرض لا يطير غرابها	ص ٧٣
لا أنظره فواق ناقة	ص ٥٤	ما به قلبة	ص ٤٦
ماله ثاغية ولا راغية	ص ١١٢	ماله سبد ولا لبد	ص ١٠٩
ماله عافلة ولا نافلة	ص ١١٣	ما يساوي فلان طلية	ص ٩٠
من استرعى الذئب ظلم	ص ٦٩		

أما المصنف الخامس فهو كتاب « الفاخر » للمفضل بن سلمة (ت ٢٩٠ هـ) ، (ابن سلمة ، ١٩٦٠) وهو مصنف كبير الحجم نسبيا ، فقد أورد الأمثال التالية :

أشام من البسوس	ص ٩٣	أفسى من الثمس	ص ٣٠٠
أكبر من لبد	ص ٨٤	تركه جوف الحمار	ص ١٤
أكفر من حمار	ص ١٤	أكيس من قشه (وهي القردة)	ص ٨١
أمنع من عقاب الجو	ص ٢٤٨	أو سعتهم سبا وأودوا بالإبل	ص ١٧٦
جري المذكيات غلاء	ص ٢٢٨	جوع كلبك يتبعك	ص ١٥٨
خلا لك الجو فبيضي واصفري	ص ١٧٩	رب فروقة تدعى ليثا	ص ٢٠٨
ربما أكل الكلب مؤدبه إذا لم ينل شبعه .	ص ١٥٨	سمّن كلبك يأكلك	ص ٧٠
صرّح المخض عن الزبدة	ص ١٨٥	الصيف ضيعت اللبن	ص ١١١
عليك بالخيل فإنها حصون العرب .	ص ٢٦٢	قد يضرط العير والمكواة في النار .	ص ٧١
عليكم بالخيل معلقة	ص ٢٨٨	لا تضعوا رقاب الإبل إلا في حقها	ص ٢٦٢
لا في العير ولا في النفير	ص ١٧٧	لا يأبى الكرامة إلا حمار	ص ٢٩٠
لا ينتطح فيها عنزان	ص ٣١٢	لكل ساقطة لاقطة	ص ١٠٩
لو ترك القطا لنام	ص ١٤٥	مرعى ولا كالسعدان	ص ٦٤
من استرعى الذئب ظلم	ص ٢٦٥	من دون ذا ينفق الحمار	ص ١١٥
الموت دون الجمل المجلل	ص ١٩٤		

لقد فصلت القول في أمثال الحيوان التي تضمنتها التصانيف المبكرة في الأمثال لأن بعض

مصنفي الأمثال حلا لهم أن يرددوا بعض أقوال مغرضة حاولت وتحاول النيل من تراثنا ، فجعلوا أمثال الحيوان وقصصه نتيجة تأثر العرب بغيرهم من الأمم ، وهي لذلك نتاج إسلامي بعد أن دخل في الاسلام عناصر غير عربية . وللدكتور عبد المجيد عابدين رأي معتدل وإن لم يخل من مبالغة في جزء منه ، وخلاصة رأيه المعتدل أن المصنفات الأولى في الأمثال اقتصرت على حيوانات معينة لا تختص بها بيئة دون أخرى ، واغفلت الحيوان الصحراوي ، وأن مصنفات أواخر القرن الثاني للهجرة قام بتأليفها رواة من معلمي اللغة العربية ارتادوا بقاع شبه الجزيرة العربية وأولوا البادية عناية خاصة .

ولعل ما سقته من أمثلة بدءاً من المفضل الضبي يضعنا أمام الحقيقة ويبعدنا عن الحدس والتخمين ، وهذا عدا المؤلفات التي ضلت طريقها إلينا وهي كثيرة .

ويلي هؤلاء عالم فذ من علماء العربية ، واسع الثقافة ، وهو الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، فيؤلف سفراً ضخما يخصصه للحيوان ويسميه « كتاب الحيوان » ، ويفيد من كتاب ارسطو طاليس الذي سبق ذكره في هذا البحث ، كما يفيد من مؤلفات من سبقوه ، ومن الثقافات الأخرى . ويأتي كتابا متخصصا متعمقاً ، يتحدث فيه عن كل ما يتصل بالحيوان ، ويذكر في حديثة عن ميزة الحيوان تحت عنوان « ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان » (الجاحظ : ٣٥) أن الله خصّ الحيوان وأودع صدور صنوف الحيوان من ضروب المعارف ، وفطرها عليه من غريب الهدايات ، فسخر حناجرها له من ضروب النغم الموزونة ، وأعطاها من الحس اللطيف والصنعة البديعة من غير تأديب وتثقيف ، ومن غير تقويم وتلقين ، ومن غير تدرج وتمرين ، فبلغت بعفوها وبمقدار قوى فطرتها ، من البديهة والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يقدر عليه حذاق رجال الرأي ، وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة ، بها لا يبلغ ذلك من الناس أكملهم خصالا وأتمهم خلالا .

ولعل في مقولة الجاحظ هذه التي سقت ملخصا لها ما يبرّر التفات الإنسان العربي منذ الجاهلية إلى ذلك الحيوان الذي يحيط به ، فيتأمل في طباعه وخصاله ومهاراته وقدراته فيحاول أن يتعلم منها ويتعظ بها ، ويضرب الأمثال بها . وليس الأمر كما تخيله أناس بأنه وقف على أمة دون أمة . ولا تنفرد أيضا به أمة دون غيرها ولكن العرب ، والحيوان جزء من بيئتهم ، بل هو يحيا بين ظهرانيهم يفيدون منه ، ويرهبون بعضه ، ويفتك بهم بعضه ، أولى بضرب الأمثال به .

ولقد سبق الجاحظ علماء الحيوان في البصرة والكوفة إلى دراسة صفات الحيوان وطباعه ، منهم أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) والمدائني (ت ٢٢٥) ، وابن الكلبي (ت ٢٠٦ ، ولكن الجاحظ كان محصلة لهؤلاء جميعا ولغيرهم .

ولقد أورد الجاحظ في مصنفه أربعمائة حيوان ، وأما الحيوانات التي رافق ذكرها أمثال في الكتاب فقد بلغ عدد الأمثال ثلاثمائة مثل .

ومن المفيد أن نذكر أن صنوف الحيوان التي حصرتها في كتب الأمثال وغيرها مما ورد عليه مثل أو أكثر مائة وثمانية ، وكان نصيب كتاب الحيوان للجاحظ منها تسعة وثمانين حيوانا .

أما الحيوانات التي لم يأت على ذكرها الجاحظ فهي :
الشقراق (الأخيل) ، أبو براقش ، البقر الوحشي ، الجدجد ، الحمار الوحشي ، الحمرة ، الدبور ، دودة القز ، الزماج ، طير العراقيب ، العجل ، القرلي ، الكروان ، النعامة ، النسر ، الهجرس ، اليعر .

وفي محاولة لحصر الحيوان الذي ورد ذكره أو ذكر بعض طباعه أو صفاته أو صفات وطباع أولاده توصلنا إلى الجدول التالي :

أ ــ حيوانات أليفة	عدد الامثال
البعير ، الناقة ، القلوص ، الجمل ، الإبل	١٥٦
الخيل ، الفرس ، الجواد ، المهر	٣٨
الضأن ، النعجة ، البندج ، الغنم ، الخروف الكبش	٣٩
الماعز ، التيس ، الشاة ، الجدي ، البعير ، العنز ، الفحل	٥١
البقر ، العجل ، الثور	٢٩
الحمار	٤٣
البغل	٠٥
الكلب	٧١
القط ، الهرة	٠٨
المجموع	٤٤٠

ب ــ حيوانات برية	
الحمار الوحشي	٢٦
البقر الوحشي	٠٢
الفأر ، الجرذ	٠٩
الظبي ، الغزال	٢٢
النعامة ، الظليم	٣١
القنفذ	٠٧
الثعلب	٢٢
القرد	٠٧
الثمس	٠٢

الوعل	٠٥
اليربوع	٠٣
الضيون	٠٧
المجموع	١٤٤

جـ ــ حيوانات مفترسة :

الذئب	٥٣
الفيل	٠٢
الضبع	٢٣
الدب « الهجرس »	١١
الفهد	٠٥
النمر	١٦
الاسد ، الليث ، اللبؤة	٣٣
الخنزير	٠٥
السبع	٠١
المجموع	١٣٩

د ــ الزواحف :

الحية ، الأفعى	٢٥
السلحفاة	٠٢
الضب	٣٣
الورل	٠٩
الحرباء	٠٦
الدلم	٠١
الجندع	٠١
المجموع	٧٧

هـ ــ طيور :

الصقر	٠٩
النسر	٠٤

القطاة	١٧
الغراب	٣٠
العصفور	٠٥
البلبل	٠١
الطاووس	٠٢
الوطواط	٠٢
طائر الشقراق ، الاخيل	٠١
الحمرة	٠١
الحمامة	١٤
الهدهد	٠١
الدجاجة ، الديك	٢٠
الرخمة	٠٧
الحدأة	٠١
أبو براقش	٠١
الصفرد	٠٦
الكروان	٠٣
الزماح	٠١
البغاث	٠١
العقعق	٠١
الطير	١٣
التنوط	٠١
العقاب	١١
الكندش	٠١
السمائم	٠١
المجموع	١٥٠

و ــ حشرات :

الجراد ، الجدجد	٢١
الذباب	٢٢
النمل ، الذر	٢١
القراد	١١
العقرب	١٢

السوس	٠٤
الفراشة	٠٦
البرغوث	٠٣
البقة	٠١
البعوض	٠٢
الخنفساء	٩
فالية الافاعي	١
الأرضة	٠١
العث	٠٢
القمل	٠٢
دودة القز	٠٢
اليراعة	٠٢
الظربان	٠٥
العنكبوت	٠٢
النمل	٠٤
الدبور	٠١
السرفة	٠١
اليغرو	٠١
قطرب	٠٢
ذراريح	٠١
النغلة	٠١
المجموع	١٤٠

ز ــ حيوانات مائية

سمك	١
القرلي	٠٢
التمساح	٠٢
الحوت	٠٦
الضفدع	٠٥
المجموع	١٦

وفي محاولة لتلخيص الاحصائيات السابقة نصل إلى النتيجة التالية :

المجموعة	عدد أمثالها	عدد الحيوانات	معدل الأمثال لكل حيوان تقريبا
حيوانات أليفة	٤٤٠	٩	٤٩
حيوانات برية	١٤٤	١٣	١١
حيوانات مفترسة	١٣٩	٩	١٥
زواحف	٧٧	٧	١١
طيور	١٥٠	٢٦	٠٦
حشرات	١٤٠	٢٦	٠٥
حيوانات مائية	٠١٦	٠٥	٠٣
المجموع	١١٠٦	٩٥	

ومن الجداول السابقة نستطيع أن نصل إلى النتائج التالية :

١ ــ إن عدد الأمثال المضروبة بالحيوانات الأليفة التي تعايش الإنسان كثير ، زاد على ثلث الأمثال المتصلة بالحيوان بالرغم من ضآلة عددها . ويعلل هذا بقربها من الإنسان وملازمتها له مما هيأ له معرفة طباعها وأسرار حياتها . وقد ترتب على ذلك أن معدل الأمثال لكل حيوان مرتفع .

٢ ــ يلي الحيوانات الأليفة في عدد الأمثال الطيور ، ولكن عددها كثير ، وفي هذا مؤشر على أن العربي عرف كثيرا من الطيور ، ولكن الأمثال المتصلة بها أو بطباعها ليست كثيرة .

٣ ــ تأتي بعد ذلك فئات الحيوانات البرية والحشرات والحيوانات المفترسة ، وتلك نتيجة طبيعة لأنها فئات يخشاها الإنسان ويحذرها ، وينالها منه الضرر ، ويناله منها كذلك ، فكلاهما يخشى الآخر .

٤ ــ أقل الفئات ورودا في الأمثال الحيوانات المائية ومرد ذلك إلى عدم وجود أنهار أو بحيرات في الجزيرة ، اللهم إلا البحار المحيطة بالجزيرة ، ولا يعرف عن تلك الحياة المائية إلا الذين يحيون على الشواطىء ، ولذا قلت أمثالهم حول تلك الحيوانات .

٥ ــ يمكن ترتيب الحيوانات التي وردت أمثال كثيرة متصلة بها على النحو التالي :
الإبل (١٥٦) مثلا ، الكلب (٧١) ، الذئب (٥٣) ، الماعز (٥١) ، الحمار (٤٣) ، الضأن (٣٩) ، الخيل (٣٨) ، الأسد (٣٣) ، الضب (٣٣) ، النعامة (٣١) ، الغراب (٣٠) ، البقر (٢٩) ، الحّية (٢٥) ، الضبع (٢٣) ، الحمار الوحشي (٢٦) ، الضب (٢٢) ، الثعلب (٢٢) ، الذباب (٢٢) ، الجراد

(٢١) ، النحل (٢١) ، الدجاجة (٢٠) .

٦ ــ يمكن فصل المجموعة السابقة إلى :

أ ــ أليفة : الإبل ، الكلب ، الماعز ، الحمار ، الضأن ، الخيل ، البقر ، الدجاجة .

ب ــ غير أليفة : الذئب ، الأسد ، الضب ، النعامة ، الغراب ، الحية ، الضبع ، الحمار الوحشي ، الظبي ، الثعلب ، الذباب ، الجراد ، النمل

٧ ــ وهكذا نجد أن غير الأليفة تفوق الأليفة ، وإن كانت بعض الحيوانات الأليفة تفوق الأخرى في عدد الأمثال ككل . وإن المجموعة المتميزة بكثرة أمثالها من أليفة وغير أليفة تظهر لنا أنها أكثر التصاقا بحياة الإنسان ، مما مكّن له معرفة طباعها وخصالها فضرب الأمثال الكثيرة بها ، كما أنها حيوانات متميزة من غيرها بخصائص وطباع جعلت الإنسان يكثر من الالتفات إليها وتأمل مزاياها وضرب الأمثال بها .

وقد ورد الحيوان في الأمثال في صور وأنماط مختلفة ، ومن هذه الصور صيغة « افعل من » وهي صيغة أفردنا لها بحثا مستقلا لأهمية هذه الصيغة في الأمثال العربية . وفي هذه الصيغة يكون الحيوان أو أحد طباعه طرفا في المفاضلة أو المقابلة فيها . ولا بأس من إيراد نماذج من هذه الأمثال :

آكل من حوت (الدرة ١/٧٢)[١]
أروى من الحوت (الدرة ١/٢٠٩)
أظمأ من حوت (الدرة ١/٢٩٣)
أعطش من الحوت (الدرة ١/٣٠٩)

ومنها أيضا ، يكون أحد أجزاء الحيوان ، أو طباعه هو المقصود :

أحمق من أنف الأسد (الدرة ١/١٣٥)
أغر من أنف الاسد (الدرة ١/٢٩٧)
أمنع من لهاة الليث (الدرة ٢/٣٨٦)
أثقل راسا من الفهد (الميداني ١/١٥٨)
أحمى من است النمر (الدرة ١/١٣٠)
أبّر من الذئب بولده (الدرة ١/٨١)

وقد تأتي إضافة في هذه النمط من الأمثال لتحدد موطن ذلك الحيوان كقولهم :

أجرأ من ليث بخفان (الدرة ١/١١٦)
أصيد من ليث عفرين (الدرة ١/٢٦٣)
أجرأ من الماشي بترج (الدرة ١/١١٦)
أخبث من ذئب الغضا (الدرة ١/١٩٠)

أبطأ من غراب نوح (الميداني ١/١١٩)
ألف من غراب عقدة (الدرة ١/٧٠)
أخبث من ذئب الخمر (الدرة ١/١٩٠)

وواضح من الأمثال السابقة وغيرها أن الطرف الأول في المفاضلة أو المقابلة هو الإنسان في الأغلب الأعم ونادرا ما يكون حيوانا أو نباتا أو جمادا . وتعليل ذلك سهل لأن الإنسان هو الذي ضرب هذه الأمثال وأفاد من الحيوان وصفاته وطباعه كما بينا في بداية هذا البحث .

وأما الصورة الثانية ، وهي كثيرة في الأمثال ، فهي إحدى صورتي الجملة الخبرية ، الاسمية ، أو الفعلية التي تخلو من أفعل . ونستطيع أن نقرأ الأمثال التالية :

الغراب أعرف بالتمر	(الميداني ٢/٦٣)
أرض لا يطير غرابها	(امثال ابي عكرمة الضبي ٧٣)
هم في خير لا يطير غرابه	(الميداني ٢/٢٩٣)
اتخذوه حمار الحاجات	(الميداني ١/١٣٥)
أدنى حماريك فاز جرى	(الميداني ١/٢٦٤)
غضبت الخيل على اللجم	(الميداني ٢/٥٦)
تكلم فجمع بين الاروى والنعام	(الميداني ١/١٤٠)
الذئب خاليا أسد	(الميداني ١/٢٨٧)

ومن المفيد للبحث والقارىء معا إيراد نماذج كاملة لأمثال حيوان أو أكثر لأن ذلك يلقي الضوء على طبيعة العقلية التي انتجت تلك الأمثال ، ويبين ما الذي كان يلفت نظر العربي من تلك الحيوانات . ونبدأ بالذئب ، فمن الأمثال التي كان الذئب عنصرا فيها :

أخوك أم ذئب	(الميداني ١/٥٠)
الذئب خاليا أسد	(الميداني ١/٢٧٨)
رماه الله بداء الذئب	(الميداني ١/٢٨٧)
أبر من الذئب بولده	(الدرة ١/٨١)
الذئب مغبوط بذي بطنه	(الميداني ١/٢٧٨)
أجوع من ذئب	(الدرة ١/١١٧)
أحذر من ذئب	(الدرة ١/١٣٣)
أخب من ذئب	(الدرة ١/١٧٠)
ذئب الخمر	(الميداني ١/٢٧٧)
أخبث من ذئب الخمر	(الدرة ١/١٩٠)
أخبث من ذئب الغضا	(الدرة ١/١٩٠)

أخف رأسا من الذئب	(الدرة ١/١٦٩)
أخل إليك ذئب أزل	(الميداني ١/٢٤٤)
من خشي الذئب أعد كلبا	(الميداني ٢/٣١٦)
لقد كنت وما أخشى بالذئب	(جمهرة الامثال ٢/١٨٢)
الذئب أعلم بمكان الفصيل اليتيم	(تمثال الامثال ٢٨٤)
أكسب من ذئب	(الدرة ٢/٣٦٦)
أسرع غدرا من الذئب	(الدرة ١/٢١٧)
الذئب يكنى أبا جعدة	(الميداني ١/٢٧٧)
الذئب أدعم	(الميداني ١/٢٧٩)
الذئب للضبع	(الميداني ١/٢٨٣)
الذئب معبوط بذي بطنه	(الميداني ١/٢٧٨)
الذئب يأدو للغزال	(الميداني ١/٢٧٧)
عليه العفاء والذئب العواء	(الميداني ٢/٣٩)
أشم من ذئب	(الدرة ١/٢٣٥)
أعتى من ذئب	(الدرة ١/٢٩٧)
لا يلبث الغويان الصرمة	(الميداني ٢/٢٣٨)
أعبث من ذئب	(الدرة ١/٢٩٨)
أظلم من ذئب	(الدرة ١/٢٩٤)
أغدر من ذئب	(الدرة ١/٣٢١)
بما كنت لا أخشى الذئب	(الدرة ٢/٤٦٦)
أوقح من ذئب	(الدرة ٢/٤٢٦)
أنشط من ذئب	(الدرة ٢/٣٩١)
ألام من ذئب	(الدرة ٢/٣٦٩)
أخون من ذئب	(الدرة ١/١٩٢)
أعق من ذئبة	(الدرة ١/٣٠٨)
أعدى من ذئب	(الدرة ١/٣٠٢)
أختل من ذئب	(الدرة ١/١٧٠)
قد لا أخشى الذئب	(المستقصى ٢/١٩٢)
أجرأ من الذئاب	(الدرة ١/١١٤)
أحول من ذئب	(الميداني ١/٢٨٨)
أصح من ذئب	(الدرة ١/٢٦٤)
حتى سالم ذئب الثلة الراعي	(تمثال الامثال ٤٢٢)

عاث فيهم عيث الذئاب يلتبس بالغنم	(الميداني ٢/٣٩)
أسلط سلقة (ذئبة)	(الدرة ١/٢٣٢)
كافأة الذئب	(الدرة ١/٢٩٤)
غزو كولغ الذئب	(الميداني ٢/٥٦)
وشيعة فيها ذئاب ونقد	(الميداني ٢/٣٧٣)
بلدة يتنادى أصرامها	(الميداني ١/٩٩) الذئب والغراب
خشى دؤالة بالحبالة	(الميداني ١/٢٣٢)
أحمق من جهيزة	(الدرة ١/١٥١)

إن قراءة الأمثال للوهلة الأولى تطلعنا على معرفة الإنسان لطباع الذئب ومنها : الغدر ، والشجاعة ، والجوع ، والجو ، والظلم ، والعبث ، والخبث ، والكسب ، والخداع ، والشم ، والوقاحة ، والنشاط ، والعقوق ، والجرأة ، وهي في مجملها صفات مستقبحة ، كما تطلعنا على بعض خصاله ومنها : بره بولده وخفة رأسه ، وعقوق الأنثى . وتشير الأمثال أيضا إلى بعض مواطنه : ذئب الخمر ، ذئب الغضا . وتعرفنا بكنية له هي : أبو جعدة ، وتكشف لنا الأمثال عن ثنائيات الذئب أحدهما : الراعي والذئب ، والغنم والذئب ، والغراب والذئب ، وتفيدنا الأمثال أيضا في التعرف إلى أسماء أخرى له : يلقة (اسم ذئبة) ، الغوى ، جهيزة (ذئبة) . وتزداد الفائدة حينما نقرأ قصص تلك الأمثال :

وأما الحيوان الثاني فأليف سماه العرب فيما مضى سفينة الصحراء ، له مكانة في نفس العربي ، به كان يثمن ماله ، وبه كان يدفع دية القتيل ، ومهر العروس ، هذا الحيوان هو البعير . ومن أمثاله :

أخلف من بول الجمل	(الدرة ١/١٧٩)
التمر في البئر وعلى ظهر الجمل	(الميداني ١/١٣٧)
أخلف من ثيل الجمل	(الدرة ١/١٧٩)
أغير من جمل	(الدرة ١/٣٢١)
أهدى من جمل	(الدرة ٤٢٢)
استنوق الجمل	(كتاب سيبوية ١/٧٤)
هم في مثل حدقة الجمل	(المستقصى ١/٣٩٣)
أصول من جمل	(الدرة ١/٢٦٨)
ما أرخص الجمل لولا الهرة	(الميداني ٢/٢٦٨)
مثل النعامة لا طير ولا جمل	(الميداني ٢/٢٩٠)
ما استتر من قاد الجمل	(الميداني ١/٣٠)
الجمل في جوفه يجتر	(الميداني ١/١٧٥)

كالعانة في اخرى الجمل	(الميداني ١١٦/٢)
أشهر ممن قاد الجمل	(الميداني ٣٩٠/١)
لا ناقتي فيها ولا جملي	(شواهد العيني ٥٦)
إنك لتحدو بجمال ثقال وتتخطى إلى زلق المراتب	(الميداني ٧٥/١)
الموت دون الجمل المجلل	(الفاخر ٢٩٤)
الرقيق جمال وليس بمال	(الميداني ٣١٠/١)
أهون من ضرطة الجمل	(الدرة ٤٢٩/٢)
لا أفعل كذا حتى يلج الجمل في سم الخياط	(الميداني ٢٢٠/٢)
أبو وثيل أبّلت جماله	(الميداني ٦٨/١)
اتخذ الليل جملا	(الميداني ١٣٥/١)
أحق من جمل	(كتاب أفعل للقالي ٩٢)
قد لا يقاد بي الجمل	(الضبي ٢٢)
جمل واجتمل	(الميداني ١٦٧/١)
أبخر من جمل	(الدرة ٧٥/١)
بئس العوض من جمل قيده	(الميداني ٩٨/١)
ليس ذنابي الطي كالقوادم	ولا ذري الجمال كالمناسم (المستقصي ٣٠٥/٢)
كالمهدر في العنة	(الميداني ١٤١/٢)
فتل في الذروة والغارب	(العقد ٢٢/٣)
فصيل ذات الزين لا يخيل	(الميداني ٨١/٢)
قد تقطع الدوية الناب	(الميداني ١٠٥/٢) النابة : الناقة المسنة .
لكن بشعفين انت جدود	(أمثال أبي عبيد ١٢٠) الجدود : الناقة القليلة اللبن
مهلاً فواق ناقة	(الميداني ٢٨١/٢)
لا أحسن تكذابك وتأثامك تشول بلسانك شولان البروق	(الميداني ٢١٩/٢)
لا أفعل كذا ما ارزمت أم حائل	(المستقصى ٢٤٥/٢)
أمسخ من لحم الحوار	(الدرة ٣٨٤/٢)
أملخ من حلم الحوار	(الدرة ٣٨٣/٢)

ماله ثاغية ولا راغية	(الفاخر ٢١) الراغية : الناقة
ماله دقيقة ولا جليلة	(الفاخر ٢١) الجليلة : الناقة
يهيج لي السقام شولان البروق	(الميداني ٤١٢/٢)
ما نحني مناح العلوق	(الميداني ٢٩٢/٢)
دردبه دردبة العلوق	(الميداني ٢٦٨/١) العلوق : الناقة
اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها	(الميداني ١٤٥/١)
لا ناقتي فيها ولا جملي	(الضبي ٥٦)
أحلبت ناقتك أم أجلبت	(الميداني ٢٠٠/١)
هل تنتج الناقة إلا لما لقحت له	(الميداني ٣٨٣/٢)
في مثل حولاء السلى	(الميداني ٧٣/٢)
الناقة جن ضراسها	(الميداني ٣٣٩/٢)
أبغض من الطلياء	(الدرة ٨٢/١) الطلياء : الناقة الجرباء
العنوق بعد النوق	(الميداني ١٢/١)
غالها من غال الناقة	(تمثال الامثال ٤٨١)
أمهلني فواق ناقة	(الميداني ٢٦٨/٢)
أضبط من عشواء	(الدرة ١٩٥/١)
الضجور قد تحلب العلبة	(الميداني ٤٢٠/١) الضجور : الناقة الكبيرة
أشام من ورقاء	(الدرة ٢٥٣/١) الورقاء : ناقة
دري عقاب بلبن واشخاب	(الميداني ٢٦٨/١) عقاب : ناقة
رتوا يحلب الابكار	(الميداني ٣٠٥/١)
رئمت له بو ضيم	(الميداني ٢٩٢/١)
أخيب من ناتج للسقب من هائل	(الدرة ١٧٤/١)
ركب المغمضة	(الميداني ٢٩٦/١) الناقة ذيدت عن الحوض
لا تراهن على الصعبة ولا تنشد القريض	(جمهرة الامثال ٤٠٥/٢)
رزمة ولا درة	(الميداني ٣٠٦/١)
عود يقلح	(الميداني ١١/٢) الناقة المسنة
ما له قذ عملة ولا قرطعبة	(الميداني ٢٧٠/٢)
آخر البز على القلوص	(الميداني ٧٨/١)

إن القلوص تمنع أهلها الجلاء	(الميداني ٦٦/١)
حرك لها حوارها تحن	(الوسيط ١٩٧)
أول الصيد فرع	(الميداني ٢٥/٢)
احتلب فروة	(الميداني ٢٠٣/١)
إلى ذاك وما أولادها عيسى	(الميداني ٥٥/١)
حمل الدهيم وما تزني	(الميداني ٢٠٥/١)
بشر كحنة العلوق الرائم	(الميداني ١٠٩/١)
حلوبة تمثل ولا تصرح	(الميداني ٢١٠/١)
حمله على الشرف الذلل	(الميداني ٢١٣/١)
اثقل من حمل الدهيم	(الدرة ١٠٤/١)
أحن من شارف	(الميداني ٢٢٨/١)
أفرط للهيم جينا أقعس	(الميداني ٨١/٢) الهيم : العطاش من الابل
في مثل حدقة البعير	(الميداني ٧٣/٢)
حذها حذ البعير الصليانة	(الميداني ١٤٣/١)
أنفر من أزب	(الدرة ٣٩٨/٢)
أنه لأصبر من ذي الضاغط	(فصل المقال ٤٩٨) الضاغط : البعير
عود يعلم الغنج	(الميداني ١٢/٢)
عاش عيشا ضاربا بجران	(الميداني ٣٦/٢) الجران : باطن عنق البعير
غلبت جلتها حواشيها	(الميداني ٥٦/٢) الحواشي : صنعاء الإبل
إذا زحف البعير أعيته أذناه	(الميداني ٢٤/١)
أذل من بعير سانية	(الدرة ٢٠٤/١)
أخف حلما من البعير	(الدرة ١٦٩/١)
أسمن من بعير	(الميداني ٣٥٥/١)
عشب ولا بعير	(الميداني ١٨/٢)
كالحادي وليس له بعير	(الميداني ١٤٢/٢)
كعكمي بعير	(المستقصي ٢١٩/٢)
كركبتي بعير	(الميداني ١٥٨/٢)
كنت وما يقاد بي البعير	(امثال ابي عبيد ٩٦)

لا أفعله ما حن بعير	(السدوسي ٨٦)
همه في مثل حدقة البعير	(الميداني ٢/٣٨٥)
يكوى البعير من يسير الداء	(الميداني ٢/٤٢٤)
تركته على مثل عفرط البعير	(الميداني ١/١٤٤)
أخلى من جوف البعير	(الدرة ١/١٨٠)
أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية	(أمثال أبي عبيدة ٢٦١)
ألقز في بطون الإبل	(الميداني ٢/١٢٢)
هذا أمر لا تبرك عليه الإبل	(الميداني ٢/٣٩٣)
لا يكون كذا حتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة	(الميداني ٢/٢٢٦)
الخلة خبز الإبل والحمص لحمها	(سمط اللالي ٧٤)
يدق دق الإبل الخامسة	(الميداني ٢/٤٢٢)
الذود إلى الذود إبل	(تمثال الامثال ٢٢٦)
شر دواء الإبل التذبيح	(الميداني ١/٣٧١)
لا تضعوا رقاب الإبل إلا في حقها	(الفاخر ٢٦٢)
راعي الإبل لا يرتاع من الجرس	(الميداني ١/٣٠٧)
عند رؤوس الإبل أربابها	(الميداني ٢/٣٠)
أشرب من الهيم	(الدرة ١/٢٦١)
على غربتها تحدي الإبل	(الميداني ٢/٢٨)
ضربه ضرب غرائب الإبل	(الميداني ١/٤١٩)
المحق الخفي اذكار الإبل	(الميداني ٢/٣١١)
توطن الإبل وتعاف المعزى	(الميداني ١/١٤٤)
أخذت الإبل أسلحتها	(الميداني ١/٢٤)
إحدى عشياتك من سقي الإبل	(الميداني ١/٥٠)
ألت اللقاح وايل علي	(الميداني ١/٥٣)
أربت الإبل على المائة	(السدوسي ٥٧)
لا آتيك ما أطت الإبل	(الميداني ٢/٢١٩)
كل نجاد ابل انجادها	(فصل المقال ١٦٢)
لا تبرك الإبل على هذا	(الميداني ٢/٢٣٧)
هذا أمر لا تبرك عليه الإبل	(الميداني ٢/٣٩٣)
يا إبلي عودي إلى مبركك	(الميداني ٢/٤١٤)

الناس كالإبل مائة لا تجترفيها راحلة	(الميداني ٢/٣٤٠)
من بعد أدوائها تكوى الإبل	(الميداني ٢/٣٢٠)
صدقني سن بكرة	(الميداني ١/٣٩٢)
إنها الإبل بسلامتها	(الميداني ١/٥٦)
سير السواني سفر لا ينقطع	(الميداني ١/٣٤٢)
إبلي لم أبع ولم أهب	(الميداني ١/٥٦)
لولا أن يضيع الفتيان الذمة لخبرتها لما مجد الابل في الرمة	(تمثال الامثال ٥٤٦)
إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة	(الميداني ١/٦٦)
إني مليط الرفد من عويمر	(الميداني ١/٦٩)
بعد خيرتها تحتفظ	(الوسيط ٨٠)
بصبصن إذ حدين بالأذناب	(الميداني ١/٩١)
حمله على الافتاء الصعاب	(المداني ١/٢١٣) الفتي من الابل
خذ منها ما قطع البطحاء	(الميداني ١/٢٣١)

في هذه المجموعة الضخمة من أمثال الإبل نجد أن العرب لم تترك شيئا يتصل بالبعير والناقة إلا ضربت به الأمثال . فضربت المثل بطباعه وأخلاقه فقالت : أشرب من الهيم ، أخف حلما من البعير ، أسمن من بعير ، كركبتي البعير ، لا أفعله ما حن بعير ، أخلى من جوف البعير ، همه في مثل حدقة البعير ، انه لأصبر من ذي الضاغط ، أنفر من أرب ، أثقل من حمل الدهيم ، أخبط من عشواء ، أحقد من جمل ، وأهون من ضرطة الجمل ، وأبخر من جمل .

وعرفت العرب قيمة الإبل المادية ، فبها كانوا يقاسون في درجات الغنى ، وبها كانوا يمهرون ، ويدفعون ديات القتلى ، لذلك قالوا : لا تضعوا رقاب الإبل إلا في حقها ، كالمهورة من نعم أبيها ، هذا أمر لا يترك عليه الابل ، توطن الابل وتعاف المعزى ، إبلي لم أبع ولم أهب ، إن القلوص تمنع أهلها الجلاء ، ماله دقيقة ولا جليلة ، لا ناقة ولا جمل ، ما له ثاغية ولا راغية ، بئس العوض من جمل قيده .

وتتضح الصورة اكثر حينما تُعرف قصص الأمثال هذه ، فيظهر لكل متأمل أن الإبل كانت عدة الجاهلي وعتاده .

وإذا مضينا في هذه الأمثال نجد أن العرب ذكرت أنواع الإبل وأولادها وصنعتها تبعا لأسنانها ، وأدوائها ، وتصرفاتها مع أصحابها ، وأولادها ، وحنينها وحقدها ، وضخامة أعضائها ، وأرزامها ، وضروب مشيها ، وتحملها الصعاب ، وقطعها المسافات الطويلة . ولم ينسوا أن بعضها كان شؤما إذا كان سببا في حرب ضروس كحرب البسوس فقالوا : أشأم من ناقة البسوس ، وأشأم من ورقاء ، وأشأم من سراب .

إن المتتبع لأمثال الناقة يجد أن أمثالهم قد اعطت صورة واضحة لموقف العربي منها ومما تنتجة ، وهو ملم بطباعها وخصالها ، فهي بمثابة كتاب مفتوح أمامه . وحقيقة الأمر أن هذه الأمثال وقصصها والأساطير المتصلة بها تغطي بحثا كاملا مستقلا .

والحيوان الثالث الذي نسوق أمثاله الضب ، وهو أكثر التصاقا بالبادية والأعراب ، ومن هذه الأمثال :

أقصر من إبهام الضب (الدرة ٢/٣٥١)
أخذه أخذ الضب ولده (الميداني ١/٢٧)
إذا أخذت برأس الضب أغضبته (الميدني ١/٢٧)
أصبر من ضب (الدرة ١/٢٦٣)
إنه لضب كلدة لا يدرك حفرا ، ولا يؤخذ مذنبا (الميداني ١/٦٣)
أخدع من ضب (الدرة ١/١٩٣)
ما هو إلا ضب كدية
كل ضب عنده مرداته (الوسيط ١٤٢)
أضيق من مبعج الضب (الدرة ١/٢٧٧)
أعق من ضب (الدرة ١/٣٠٦)
أحير من ضب (الميداني ١/٢٢٧)
أقصر من قتر الضب (الدرة ٢/٣٥١)
أتعلمني بضب أنا حرشته (الفاخر ٢٤٦)
ان تك ضبا فإني حسلة (الميداني ١/٢٧)
أضل من ضب (الدرة ١/٢٨٢)
سلقة ضب واءمت مكونا (الميداني ١/٣٤٦)
أحيأ من ضب (الميداني ١/٢١٨)
أطول ذماء من الضب (الميداني ١/٤٣٧)
الذماء : ما بين القتل إلى خروج النفس
أعقد من ذنب الضب (الدرة ١/٣١٢)
أسمع من ضب (الدرة ١/٢١٨)
أطول من ضب الخرقاء (الميداني ١/٤٣٧)
خله درج الضب (الميداني ١/٢٤٢)
أطعم أخاك عقنقل الضب إنك إن (الميداني ١/٤٣١) العقنقل :

تمنع أخاك يغضب	الكرش
أروى من ضب	(الدرة ١/٢١٠)
أصم من ضب	(كتاب أفعل ٤٤)
حتى يرد الضب	(المستقصي ٢/٥٨)
تطلب ضبا وهذا ضب باد رأسه	(الميداني ١/١٣٥)
ما أطلع ضب ذنبه	
أعمر من ضب	(الدرة ١/٣١٣)
ذاك ضب أنا حرشته	(المستقصي ٢/٨٤)
حتى يؤلف بين الضب والنون	(الميداني ١/٢١٣)
لو ترك الضب على ما في حجره	(الميداني ٢/١٩٤)
هو أعلم بضب من حرشة	(الدرة ١/٢٩٨)
لا تحسد الضب على ما في حجره	(الميداني ٢/٢٤٠)
لا يكون كذا حتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة	(الميداني ٢/٢٢٦)

والضب حيوان بري له ذنب معقد ، ويسمى أحيانا « العظاءة » (الجاحظ : ١/١٤٥) عدّه صاحب كتاب الحيوان من الأحناش (الجاحظ : ٥/٢٨٣) ، وهو أضخم جرما من حيوان « الورل » ، كفه يشبه الإنسان ، قصير الإبهام ، كفه في رجله ، يحب التمر ، ومن عاداته أكله أولاده ، يتحمل العطش ، وقد يستغني عن الماء . وسلاحه ذنبه ، ويتداوى به . وكانت العرب تأكله في الجاهلة ثم ذم أكله . ومن أشد خصومه من الحيوان: الأفعى ، والورل ، والظربان ، والثعلب الذي يأكل أولاده . وترتبط به أساطير منها أسطورة اغتصابه ذنب الضفدع ، وقصة الضب والنون (الجاحظ : ٦/١٢٥ ، ٧/٢٠٧) . لذلك قالوا في الامثال : حتى يؤلف بين الضب والنون ، وهما لا يأتلفان أبدا ، ولذا قال الشاعر :

ان يهبط النون ارض الضب ينصره يضلـــــل ويأكلـــــه قوم غراثين

(الميداني : ١/٢١٣)

ولو رجعنا إلى أمثال الضب لوجدنا أنها لا تخرج عما ذكره صاحب كتاب الحيوان الذي أوردنا بعض ما قاله في الضب حول صفاته وطباعه ، وكيفية صيده ، وطول ذمائه ، وصلته بولده ، وقلة شربه ، وأين يعيش ، وأعضاء جسمه التي تتميز بصفات معينة ، وبعض الأماكن المشهورة به في الجزيرة . ويزيد الصورة توضيحا قصص أمثاله .

وهكذا عرضنا لنماذج ثلاثة من حيوان الجزيرة العربية ، اخترناها منوعة ، وقد لاحظنا تنوعا في الكم والكيف تبعا لموقف الإنسان منها ، ونفعها له أو ضررها ، وعرفنا عمق معرفته بها وبطباعها وقيمتها .

وما دمت قد اكتفيت في هذا البحث بنماذج ثلاثة عرضت لأمثالها ، فانه من المفيد أن أعرض مسحا شاملا للحيوان الذي ورد في الأمثال ، وأذكر الصفات المتصلة به أو بأولاده أو ببعض أعضاء جسده ، مع التنويه بأن أمثالا كثيرة لم تتضمن صفات ، لذلك استبعدت من هذه الإحصائية ، وكذلك فان صفات معينة في حيوان ما قد تعددت أمثالها ، فلم أكررها .

النوع	عدد الصفات	الصفات المتصلة بالحيوان أو بأولاده أو بعضو من أعضائه
الإبل	٤٥	الصدور ، الدق ، التدبيج ، الارتياع ، البرك ، الكي ، الحفاظ ، السير ، اتساع الحدقة ، الحدّ ، الرغاء ، النفور ، الصبر ، التلقيح ، الغنج ، الزحف ، الذل ، خفة الحلم ، السمنة ، الحنين ، الخلو ، الخبط ، الضجر ، الشؤم ، الدردبة ، الرئم ، الثقل ، البغض ، الجلال ، الزم ، الارزام ، المسخ ، الهوان ، الحقد ، البخر ، الهدير ، الغيرة ، الصولان ، الخلف ، الاجترار ، الشرب ، التوطين ، الأطيط ، الحداء ، الضرب .
الماعز	١٦	السمنة ، قلة القيمة ، الغباء ، سرعة الحلب ، الاستسلام ، المعرفة ، القفط ، النزو ، التياسة ، الذل ، السهولة ، الضلال ، الصرد ، السماحة ، الغيرة ، الشؤم .
الضأن	٨	الذل ، الغباء ، الجهل ، الحمق ، الشغل ، السقاء ، الثغاء ، الثراء .
الفرس	٢٠	القارح ، الركض ، التحصين ، الغضب ، السرعة ، القوة ، القيادة ، الملس ، الإبصار ، الجري ، الشؤم ، العدو ، الشأو ، الطاعة ، القصر لظاهرة الفرس ، الشدة ، القبح للفرس الهزيلة ، الكبو ، الجود ، العثار .
البقر والثور	٤	الزهو ، الشجاعة ، البلادة ، الحمق

النوع	عدد الصفات	الصفات المتصلة بالحيوان أو بأولاده أو بعضو من أعضائه
البغل	٣	العقم ، العقر ، الغباء .
الحمار	١٢	الطاعة ، التحمل ، سواسة الاسنان ، الهوان ، الخلو للجوف ، الجهل ، الكفر ، الصبر ، الخلف لولده ، الظمأ ، الذل ، الحمق .
الهر	٦	البر ، الشبق ، العقوق ، الاعتراض ، الزنى ، الزهو .
الكلب	١٢	اللحس ، الجوع ، الشهوة ، الفحش ، الحرص ، الولوغ ، النهم ، النوم ، اللؤم ، الهوان ، الشكر ، الضراعة .
الفأر واليربوع	٦	الضلال ، السرقة ، الأكل ، الكسف ، اللصوصية ، الجرد .
الأرنب	٣	سرعة القطف ، الاستصغار ، اللين .
الضيون	٧	الزنى ، السفاد ، الصيد ، الغلم ، النزو ، الدبيب ، الثقافة .
الذئب	٣٣	الغدر ، الخلوة ، البربولده ، الفتك ، الجوع ، الحذر ، الخبب ، الخبث ، خفة الرأس ، الحذر ، الشجاعة ، الكسب ، الغدر ، الشم ، العتو ، الحلم ، العبث ، الظلم ، الوقاحة ، النشاط ، اللؤم ، الخيانة ، العدو ، العقوق ، الكياسة ، الختل ، الجرأة ، الحلول ، الصحة ، العوث ، السلاطة ، الولوغ ، الفراسة .
الضيل	٢	الأكل ، الشدة .
الضبع	٨	الحمق ، السمع ، الفساد ، الغزل ، العدو ، الشجاعة ، العبث ، النبش .
الدب	٦	الجبن ، الزنى ، النزو ، السفاد ، الغلم ، السمنة .
الفهد	٦	ثقل الرأس ، الكسب ، النوم ، الوفاء ، البخر
النمر	٥	حرارة استة ، عزة استة ، القوة ، الغدر ، المنعة
الأسد	١١	الجرى ، العزة ، البخر ، المنعة ، الكرم ، الشدة ، الحطمة ، الجرأة ، الصيد ، الشجاعة ، الشره .
الخنزير	٤	الطيش ، الوقل ، الطفس ، القبح .
الوعل	٣	الوقل ، التصويت ، التعفير .

النوع	عدد الصفات	الصفات المتصلة بالحيوان أو بأولاده أو بعضو من أعضائه
حمار الوحش	٧	الجذ ، الغرط ، النشاط ، الخلو ، السرعة ، الغيرة ، الصحة .
الضب	١٤	الطول ، التعقيد ، السمع ، الارتواء ، الصحة ، طول العمر ، قصر إبهامه ، أخذ ولده ، الصبر ، الخداع ، ضيق المبعج ، العقوق ، الحيرة ، الضلال .
الظبي	٩	الأمن ، الغرور ، القفر ، النزو ، النفور ، النشاط ، طول العمر ، صفاء العين ، النوم .
النعامة	١٦	القسم ، الصحة ، الدقة ، الشم ، الشرود ، العدو ، الطول ، الجبن ، الحمق ، الند ، النفور ، الطيران ، الشيل ، الارتواء ، السلامة ، الفساد .
الورل	٦	الحيرة ، السرعة ، التلمظ ، الظلم ، الشرود ، الضلال .
الحرباء	٣	البرودة ، الحزم ، الصرد .
الدلم	٢	الشدة .
الغول	٢	القبح ، الضراط .
القنفذ	٢	السرعة ، السمع .
الحية	١٢	اللؤم ، السمع ، الشره ، الحذر ، الطول ، الظلم ، طول العمر ، المشي ، القتل ، العري ، رقة الجلد ، الفحش .
السلحفاة	١	البلادة .
الحوت	٥	الأكل ، ارتواء ، الظمأ ، العطش ، التماقس .
الضفدع	٤	النقيق ، الارتواء ، الرسح ، العطش .
التمساح	٢	الظلم ، الغدر .
القرلى	٢	الخطف ، الحذر .
السمك	١	السباحة .
الجراد	١٦	الصرد ، الطيران ، النزو ، الحمى ، السرى ، الجرد ، الجبن ، السرعة ، الاتلاف ، الفساد ، الصفاء ، الغوغاء ، الغواية ، الكمون ، السهر ، القحط .
الذباب	١٤	الجرأة ، الندى ، الخطأ ، الإلحاح ، الزهو ، الامتحان ،

النوع	عدد الصفات	الصفات المتصلة بالحيوان أو بأولاده أو بعضو من أعضائه
		الهوان ، الطيش ، التطفل ، الصغر ، التقمع ، السقوط ، الخفة ، المرض .
النمل	١٥	الاستهانة ، الحرص ، السرعة ، العطش ، القوة ، الكثرة ، الكسب ، الجمع ، الارتواء ، القصر ، الضبط ، القطف ، الإخفاء ، الشم ، القفط .
القراد	١٠	الصغر ، السفه ، الثبات ، الجوع ، الدبيب ، الذل ، السمع ، العلوق ، اللزوق ، طول العمر .
العقرب	٩	الصيء ، اللدغ ، الجهل ، الدبيب ، البخر ، العدو ، العطاء ، المماطلة ، الأذى .
السوس	٣	الأكل ، السرعة في الاتلاف ، الفساد .
الفراشة	٦	الطيش ، الخطأ ، الضعف ، الخفة ، الحقارة ، الجهل ،
البرغوث	٢	الطمر ، الصغر .
البقة	١	الضعف .
البعوض	١	الصغر .
الخنفساء	٨	الإلحاح ، الفسو ، الطول ، النتانة ، الاختباء ، اللزوق ، الدبيب ، الغضب .
فالية الأفاعي	١	الفحش
الأرضه	١	الافساد
العث	٢	العبث ، القرم
القمل	١	الإفساد .
دودة القز	٢	الصنع ، المهارة
اليراعة	٢	الخفة ، النخب .
الظربان	٥	الدادة ، الفسو ، النتانة ، الندس ، النوم .
العنكبوت	٢	الغزل ، الضعف .
النحل	٤	الصفاء ، الحلاوة ، الصنع ، السرعة .
قطرب	٢	المهارة ، التجول
السرفة	١	الصنع
يغرو	١	السمنة
ذراريح	١	الحك

النوع	عدد الصفات	الصفات المتصلة بالحيوان أو بأولاده أو بعضو من أعضائه
النغلة	١	الهوان
الصقر	٤	البخر ، الاختلاف ، البصر ، الغدر .
النسر	٤	العمر ، الكبر ، البقاء ، الإخناء .
القطاة	٧	القصر ، النسب ، السرعة ، الصدق ، السلح ، الكمد ، الجبن .
الغراب	١٣	المعرفة ، الخيلاء ، الحذر ، الفسق ، الخطف ، الندرة ، البصر ، الألفة ، الصفاء ، البطء ، الشؤم ، الغرابة ، البكور .
العصفور	٣	النزو ، السفاء ، خفة الحلم .
البلبل	١	الصغر .
الطاووس	٢	الحسن ، الضياع .
الوطواط	٢	البصر ، الجبن .
الأخيل (الشقراق)	١	الشؤم .
الحمرة	١	العمر .
طير العراقيب	١	الشؤم
الحمامة	١١	الهداية ، الشجو ، الزق ، الزهو ، الزنى ، الكذب ، البقاء ، الأمن ، الحمق ، الخرق ، السماجة .
الهدهد	١	السجود
الدجاجة	١٣	البيض ، السلح ، العطف ، الحسن ، الزهو ، السخاء ، السفاد ، الشجاعة ، الصفاء ، النخوة ، الغيرة ، الحسو ، الخيلاء .
الرخمة	٥	البعد ، العزة ، الاستحالة ، الحمق ، الموق .
الحدأة	١	الخطف .
أبو براقش	١	الحول .
الصفرد	١	الجبن
الكروان	١	الجبن
الزماح	١	الشؤم
البغاث	١	الضعف
العقعق	١	الحمق

النوع	عدد الصفات	الصفات المتصلة بالحيوان أو بأولاده أو بعضو من أعضائه
الكندش	١	اللصوصية
العقاب	١	الحلم ، الطيران ، الحزم ، العزة ، المنعة ، الخطف .
التنوط	١	الصنع

إن نظرة سريعة إلى هذا الجدول تدلنا على الحقائق التالية :

١ ــ أن الإبل احتلت الصدارة في عدد الصفات كما احتلت من قبل في عدد الأمثال ، وفي هذا تأكيد على أن العربي عرفها عن قرب ، ونظرا لأهميتها أيضا فقد ألمّ بكل ما يتصل بها ، ولم يفته شيء حتى عن طريقة تبويلها .

٢ ــ وتلا الإبل في الكثرة الذئب ، وهذا شيء غريب للوهلة الأولى ، فهو وحش بري مفترس ، ولكن هذا الوحش عدو لدود للإنسان يعدو على نعمه فيفترسها كلما سنحت له الفرصة ، . وقد بدا من الجدول أن العربي رصد كل صفات الذئب وطباعه ، وعرفها ليحّذر منه ، ويأمن غدره .

٣ ــ والشريحة التالية يمثلها : الفرس (٢٠ صفة) ، الماعز (١٦ صفة) ، والنعامة (١٦ صفة) ، الضب (١٤ صفة) الدجاجة (١٣ صفة) ، الغراب (١٣ صفة) ، الجراد (١٦ صفة) ، النمل (١٥ صفة) ، الذباب (١٤ صفة) ، الحية (١٢ صفة) ، الأسد (١١ صفة) ، الحمامة (١١ صفة) ، الكلب (١٢ صفة) .

٤ ــ أن النظرة الفاحصة لحيوانات هذه الشريحة نراها تجمع بين الحيوانات الأليفة كالفرس والماعز والدجاجة والحمامة والكلب ، والحيوانات البرية كالنعامة والضب والحية والأسد ، والحشرات كالجراد والنمل والذباب . وهذه الأنواع الثلاثة متباينة ولكن الإنسان له فوائد أو مضار من كل ، فتأملها وتفحصها ، وتعرف إلى أخلاقها وطباعها ، من طاعة أو سرعة أو تعاون أو مثابرة أو شجاعة أو إلحاح إلى غير ذلك من الصفات .

فمن أمثال الكلب : أبصر من كلب (الدرة ٧٥/١) ، أحرس من كلب (الميداني ٢٢٩/١) أطوع من كلب (الميداني ٤٤١/١) ، أعجل من كلب إلى ولوغه (الدرة ٢٩٨/١) لكل قوم كلب فلا تكن كلب أصحابك (الميداني ٢٠٠/٢) ، كاد البخيل يكون كلبا (الميداني ٢٢٩/١) .

ومن أمثال الفرس التي تدل على قيمتها وطباعها :

عليكم بالخيل فإنها حصون العرب (الفاخر ٢٦٢) ، غضب الخيل على اللجم (الميداني

٥٦/٢) ، تركته على مثل خد الفرس (الميداني ١٤٥/١) ، أبصر من فرس (الدرة ٧٦/١) ، اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها (الميداني ١٣٤/١) ، أجرى من فرس (الدرة ١٠٧/١) ، أسمع من فرس (الدرة ٢٢٦/١) ، أطوع من فرس (الميداني ٤٤١/١) ، ان الجواد وقد يعثر (الميداني ١٢/١) .

وقالوا في الغراب :

أفسق من غراب (الميداني ٩٠/٢) ، أخطف من غراب (الدرة ١٧٠/١) ، هم في خير لا يطير غرابه (الميداني ٣٩٣/٢) ، أصفى من عين الغراب (الميداني ٤١٧/١) ، أحذر من غراب (الدرة ١٣٣/١) ، الغراب أعرف بالتمر (الميداني ٦٣/٢) ، أخيل من غراب (الدرة ١٩٢/١) ، أشام من غراب البين (الدرة ٢٤٩/١) ، أبكر من غراب (الدرة ٧٥/١) ، أرض لا يطير غرابها (أمثال أبي عكرمة ٧٣) .

ومن أمثالهم في الحمامة :

أشجى من حمامة (الدرة ٢٣٦/١ ، أزهى من حمامة (الميداني ٣٢٧/١) ، أكذب من فاختة (الدرة ٣٦٤/٢) ، آمن من حمام مكة (الدرة ٦٩/١) ، أخرق من حمامة (الدرة ١٧٣/١) ، زقه زق الحمامة فرخها (الميداني ٣٢٤/١) .

وقالوا في الأسد :

أسد حطوم خير من سلطان غشوم (شرح ديوان الحماسة ٨٥) ، الذئب خاليا أسد (الميداني ٢٨٧/١) كمبتغي الصيد في عريسة الاسد (الميداني ١٠٧/٢) ، ما استبقاك من عرضك للأسد (الميداني ٢٩٠/٢) تركته على مثل مشفر الأسد (الميداني ١٤٥/١) ، أجرأ من ليث بخفان (الدرة ١١٦/١) .

ومن أمثالهم في الذئب :

أخوك أم ذئب (الميداني ٥٠/١) ، أبر من الذئب بولده (الدرة ٨١/١) ، من خشي الذئب أعد كلبا (الميداني ٣١٦/٢) ، الذئب أعلم بمكان الفصيل اليتيم (تمثال الامثال ٢٨٤) ، الذئب معبوط بذي بطنه (الميداني ٢٧٨/١) ، عاث فيهم عيث الذئاب يلتبس بالغنم (الميداني ٣٩/٢) .

وقالوا في الجراد :

أحمى من مجير الجراد (الدرة ١٦٦/١) ، أصفى من لعاب الجراد (الدرة ٢٦٦/١) ،

تركت جرادا كأنه نعامة جاثمة (الميداني ١٤١/١ ، كالجراد لا يبقى ولا يذر (الميداني ١٦٢/٢) ، اذا اخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي (الميداني ٦٦/١) ، والغاوي الجراد ، اذا جاءت السنة جاء معها أعوانها (الميداني ٦٦/١) أي الجراد والذباب والأمراض .

وقالوا في النمل :

ما عسى أن يبلغ النمل (الميداني ٢٩٠/٢) ، أحرص من نملة (الميداني ٢٢٩/١) ، جاءت مثل النمل (المستقصى ٤٨/٢) ، أكسب من نمل (الدرة ٣٦٥/٢) ، أجمع من نملة (الدرة ١٢١/١) ، أشم من ذرة (الدرة ٢٣٥/١) .

وأخيرا قالوا في النعامة والظليم :

كرجلي نعامة (تمثال الأمثال ٥٥٩) ، أجبن من نعامة (الميداني ١٨٧/١) ، ما يجمع بين الأروى والنعام (الميداني ٢٧١/٢) ، مثل النعامة لا طير ولا جمل (الميداني ٢٩٠/٢) ، كاد النعام يطير (الميداني ١٦٢/٢) ، شالت نعامتهم (الدرة ١٥٣/١) ، ركب جناحي نعامة (الميداني ٢٩٩/١) .

تلك نماذج من أمثال الحيوان ، ولعلها تكشف كيف وظف الإنسان صفاته وطباعه في التعبير عن طموحاته وطمعه ومشكلاته فوظف تلك الصفات والطباع ، ولا غرو فالإنسان أذكى المخلوقات يسخرها ويتغلب عليها ويفيد من نقاط ضعفها ، وتعلم منها قبل ذلك كله .

ونعود إلى مناقشة ما أورده صاحب « الدرة » ، فقد زعم أولا أن العرب تفردت باستعمال الحيوان في الأمثال ، وعلل ذلك بأنهم وضعوا بيوتهم وأبنيتهم وسط السباع والأحناش والهمج والحشرات ، فليس يفتحون عيونهم على سواها وليس يعثرون الابل . وحين تأملوا في اخلاق تلك البهائم الفوها متفرقة في أنواعها ، ثم رأوها مجتمعة في الإنسان . ويحاول أن يبين ويعلل كيف عرف أهل الحضر تلك الطباع ، قال إنهم جروا على منهاج أهل البادية . ولكننا نراه يتراجع عن مقولته تلك فيذكر أن الفرس سبقت العرب في استخدام التمثيل بالحيوان . ويضيف بأن في الحيوان أنواعا يعمل الجهل والموق وقلة المعرفة فلم يضربوا بها المثل كالسمك والضفادع (الدرة الفاخرة : ٥٩ ــ ٦٣) .

وفي مقولته هذه مجموعة من الحقائق من وجهة نظره ينقض بعضها بعضا ، فمنها أنه علل ضرب العرب الأمثال بالحيوان لأنهم يعيشون وسطها ، ثم وقع في مشكلة أن أهل الحضر لم يعيشوا وسطها ، وجلّ المشكلة بأنهم قلدوا أهل البادية .

ومنها أن الفرس سبقوا العرب ، مستندا في ذلك إلى ما ورد في كتب ساستهم وملوكهم . ومنها أنهم أهملوا أنواعا من الحيوان بعامل الجهل كالسمك والضفادع .

وحقيقة الأمر أن ضرب الأمثال بالحيوان لا يحتاج إلى معايشتها أو العيش وسطها وأدلة ذلك أن العرب ضربوا بحيوانات لم تعرفها الجزيرة ، فبم نفسر ذلك ؟ وهل كان الفرس يعيشون وسط تلك الحيوانات حتي يضربوا بها الأمثال ؟ وأين ذهبت مصادر الثقافة الأخرى لكتاب أرسطو طاليس وغيره ؟ إن وجود الحيوان في بيئة أمة من الأمم له تأثيره ولكنه ليس الشرط الوحيد . ونضيف إلى ذلك أن الاصفهاني جعل العرب سباقين في هذا المضمار ثم تراجع وأعطى الأولوية للفرس .

أما الحيوان الذي عرف بالجهل وقلة المعرفة كالسمك الضفادع فلم يهمله العرب ولكن أمثاله قليلة إذا ما قورنت بأمثال الذئب والجمل والفرس والضب وغيرها .

والذي نلاحظه من الأمثال المضروبة بالحيوان أن الحيوان لم يكن مقصودا لذاته بل إن الإنسان هو المقصود ، وكل ما هو مطلوب من ضارب المثل أن يعرف أشهر صفات ذلك الحيوان أو طباعه .

وبمقدار ما يتمتع الحيوان من صفات وطباع سواء أكانت حسنة أم قبيحة بمقدار ما تكثر الأمثال المضروبة به ، ويتوقف ذلك أيضا على مدى معرفة الإنسان بطريق أو بأخرى بصفات ذلك الحيوان ، كما يتوقف أيضا على إعجاب أو خوف أو نفور من تلك الصفات . ولعل عبارة الجاحظ التي جاءت في كتابه « الحيوان » تشير إلى أن الأمثال التي كان الحيوان محوراً أساسيا فيها كانت شاملة وجزءا من معارفهم وثقافتهم ولم تقتصر على المعايشة فحسب ، يقول « وقل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء والمتلكمين إلا ونحن قد وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب والأعراب (الجاحظ : ٣/٢٦٨) .

ويتصل بأمثال الحيوان موضوع طالما شغل الباحثين ، ذلك هو تلك القصص التي صاحبت الأمثال أو بعضها ، وقد أثيرت حولها مشكلات منها :

١ ــ إن هذه القصص أضيفت فيما بعد وألحقت بالأمثال ، وبمعنى آخر أنها منحولة ، ومن أدلتهم اختلاف قصة المثل من مصدر لآخر ، ووجود المثل في هذا المصدر مجردا من القصة ، ومصحوبا بقصة في مصدر آخر .

٢ ــ انطاق الحيوان في بعض الأمثال وقصصها .

ولحل هاتين القضيتين وغيرهما نود أن نبين الحقائق التالية :

١ ــ أن الأمثال التي بين أيدينا لم يقل أحد بأنها تمثل أمثال العرب ، كما لم يقل أحد بأن الشعر الجاهلي وصل إلينا كله أو وصلت القصائد كاملة . ويكمن السبب في تلك الرحلة الطويلة التي قطعها الشعر والمثل وهو يتناقل مشافهة ، وتعرض في أثنائها إلى النسيان والضياع ، وسقوط بعض الأجزاء ، وتحريف ما وصل إلينا . ولا ننسى الغرض الذي من أجله جمع

كل منهما ، لقد كانت اللغة هي الغرض الرئيس . ومن هنا يختلف هدف العالم اللغوي ومصادرة عن غيره .

٢ ــ يترتب على هذه الحقيقة أن الأمثال التي وصلت إلينا يحتمل أن تكون قصصها قد سقطت أو أسقطت لسبب أو لآخر .

٣ ــ لا ينكر باحث أن تكون بعض القصص قد ألحقت بالأمثال ولكن ذلك لا يعني إنكار قصص الأمثال جميعها أو إنكار معظمها .

٤ ــ إن من يفترض اصطناع هذا القصص في عصور متأخرة عن عصر المثل يريد أن يبين أن ذلك حدث نتيجة احتكاك العرب بغيرهم وتأثرهم بهم . وقد نسى هؤلاء أن العرب لم يكونوا منغلقين في جزيرتهم في عصورهم الأولى ، بل سقنا في بحث سابق أدلة من التراث وغيره تشير إلى اتصال العرب بالأمم المجاورة . ومن قنوات الاتصال التجارة ، ولئن كانوا قد جلبوا أصناما يعبدونها من الخارج فإنه ليس غريبا أن تدخل الثقافة من جملة ما أدخلوه .

٥ ــ ومع تسليمنا بالتأثر في جاهليتهم بغيرهم ، فإنا قد نسينا أن المثل ضارب في أعماق الأمة ، ولا نعرف متى بدأ المثل وبدأ تداوله على ألسنة الناس ، ولم يسم مثلا إلا حينما أكثر الناس من ضربه ، فعمر المثل أو قدم مثل ليس كعمر الشعر الجاهلي لأننا نجد أمثالا معاصرة لحرب البسوس ، ولكن المؤكد أن المثل قول شعبي تداوله الناس زمنا إلى أن استحال إلى قول شعبي ينطق به كل من يلزمه . وإذا سلمنا بذلك فهل نحن منكرون أن يتضمن رموزا وأساطير يكون الحيوان فيها ناطقا ؟ إذا كانت الهند قد انطقت الحيوان « كليلة ودمنة » فلماذا يحرم ذلك على العرب ؟ ويناقش قضية التأثر والرمز الدكتور عبد المجيد عابدين (١٩٥٦ : ٧٧) ، ويرى أن مثل هذه الأمثال وقصصها ذاعت في الكتب المقدسة القديمة ، ونجح صانعو هذه القصص في صياغتها بعبارات شعبية ، حتى تتغلغل في نفوس الناس . ويضرب مثالا لذلك بالمثل : كطالب القرن جدعت أذنه ، فقد زعموا أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين ، ويربطه بمثل آرامي يهودي يقول : ذهب الجمل يطلب قرنين فرجع بلا أذنين .

وقد كان علماء اللغة ، وهم جامعو الأمثال ، أكثر دقة منا جميعا ، فهم قد ذكروا أن الأعراب (زعمت) ، ولا يخفي علينا دلالة هذه الكلمة ، وأمثال الضبي مبدؤة جميعا بهذه الكلمة (زعموا) والذي لامراء فيه أن الأمثال ضرب من ضروب الأدب الشعبي العالمي ، فليست تجارب امة أو شعب ملكا له وحده بعد أن ينطق بها ، ولا ننسى أيضا أن كثيرا من العواطف والمشاعر الإنسانية مشتركة بين جميع الشعوب . وليس مجال هذا البحث مناقشة هذه القضية ، ولكن بحوثا وكتبا ألفت حاولت جمع الأمثال المشتركة بين كثير من الشعوب .

وهكذا نخلص إلى أن التأثر والتأثير وارد في الأمثال كما هو مقبول في اللغة وغيرها ، كما أن القيم العامة والمشاعر والأحاسيس لبني الإنسان واحدة لذلك قد نجد أمثالا مشتركة بين

شعبين ، وتعليل ذلك سهل إما بالتأثر وإما أن ذلك أمر بدهي لأنه يعبر عن أشياء مشتركة بين الناس .

الهوامش :

(١) المصدر الذي نذكره للامثال في هذا البحث لا يعني بالضرورة أنه الوحيد وإنما نفعل ذلك للإختصار .

المراجع العربية :

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم — **كتاب الأمثال** ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، جدة : جامعة الملك عبد العزيز ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي ، ١٤٠٠ هـ .

ابن سلمة ، المفضل — **الفاخر** ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٠ .

ابن عبد ربه — **العقد الفريد** ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، القاهرة : ١٩٦٥ .

أرسطو — **طباع الحيوان** ، ترجمة يوحنا البطريق ، تقديم وتحقيق عبد الرحمن بدوي ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ .

الأصطخري — **المسالك والممالك** ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ .

امرؤ القيس — **الديوان** ، القاهرة : مطبعة الاستقامة .

البكري ، أبو عبيد — **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال** ، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ، بيروت : دار الأمانة ، ١٩٧١ .

سمط اللآلى ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ .

الجاحظ — **كتاب الحيوان** ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة مطبعة البابي الحلبي ، بدون تاريخ .

الزمخشري — **المستقصي في أمثال العربية** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٩٧٧ .

السدوسي ، أبو فيد — **أمثال السدوسي** ، تحقيق أحمد محمد الضبيب ، الرياض : ١٩٧٠ .

سيبويه — **الكتاب** ، القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٣١٦ ــ ١٣١٧ هـ .

الضبي ، أبو عكرمة — **كتاب الأمثال** ، تحقيق رمضان عبد التواب ، دمشق : مجمع اللغة العربية .

الضبي ، المفضل — **أمثال العرب** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٨٠ .

عابدين ، عبد المجيد — **الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى** ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥٦ .

عبد الرحمن ، عفيف — « **الأمثال العربية القديمة** » ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، المجلد الثالث ، العدد العاشر ، ربيع ١٩٨٣ .

علي ، جواد — **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، جزء ١ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٨ .

الميداني — **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١ .

الهمداني — **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد الأكوع ، الرياض : دار اليمامة ، ١٩٧٤ .

الواحدي — **الوسيط في الأمثال** : تحقيق عفيف عبد الرحمن ، الكويت : مؤسسة دار الكتب الثقافية ، ١٩٦٥ .